العديدة في بدنهِ ليقوم منتصباً وكلّ ذلك اوهام لا وجود لها الّا في مخيّلة دروين الذي يُعير القرد مسحةً من عقلهِ وكان الاولى بهِ ان يخصّها بتأييد الحقائق الراهنة فلا يغوي الناس بمثل هذه التّرهات . فليعلم الدروينيّون العلم اليقين انّ القرد ولو امكنهُ ان يقصد الحصول على غاية معلومة من المستحيل ان يغيّر شيئاً من هيئةِ جسمهِ ولو شاء ان يجعل مثلاً ليديهِ او لرجليهِ وجهةً ما او تركيباً آخر في عظامهما لعجز عن ذلك . وقس عليهِ بقيّة الحيوانات

وخلاصة القول انّ لا شيْ يحوجنا لدى نظرنا التشابه في مياكل الحيوانات المختلفة ان نقول بانّها لشأت عن بعضها بالتحوُّل وعلى خلاف ذلك نجد في هذا الشبه داعياً جديداً لتمجيد الخالق والصراخ مع النبيّ : « أيها الرب الاله ما اعجب اسمك في كلّ الارض . . . انك بكل حكمة وقياس ونظام قد ابدعت كلّ المخلوقات »

(التتمّة لعدد قادم)

شهيد الاستانة

الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

احرزت الكنيسة الكاثوليكيّة لها فخراً باهراً ومجداً اثيلاً في ٢٥ تشرين الاوّل (١ من السنة ١٧٠٧ في عاصمة الدولة العثمانيّة باستشهاد احد الكهنة الارمن الكاثوليك المدعو غوميداس كرجيان وشى بهِ الارمن الغريغوريّون الى عليّ باشا الجوربلي مدّعين لارتدادهِ الى الكثلكة بانّهُ دخل في دين الفرنج ودفعوهُ بالرشوة الى ان يقضي عليهِ بالاعدام فعرض عليهِ الاسلام لينجو من الموت فأبى وثبت على دين الكنيسة البطرسيّة فقُتل بقطع هامتهِ لكنّ موتهُ اناله ذكراً طيّباً لدى مواطنيهِ

١) وذلك بمقتضى الحساب الشرقيّ القديم الموافق لليوم الخامس من تشرين الثاني

وما لبث ان جرت بشفاعته كرامات عديدة توالت الى عصرنا هذا ودفعت الكرسي الرسولي الى ان يبحث عن سيرة وموت ذلك البطل الصنديد ليُودع اسمهُ في سجل اوليائها باعلانهِ طوباويًا . والمأمول ان ذلك يتمّ في عهد قريب

وقد سرَّنا ان حضرة الاب ميخائيل قديد الارمني الكاثوليكي في حلب عمد الى ترجمة حياتهِ التي كتبها بالارمنيَّة الورتبيد اكوب مغربان الارمني الكاثوليكي فاخرجها الى العربيَّة ليشيع بروايتها الشائقة جميع الطوائف الكاثوليكيَّة ولاسيَّما الارمن ليكون مثال ذلك الشهيد سنداً وتعزيةً لهم في بلاياهم ومصائبهم المتعدّدة . وقد كنَّا احببنا لو افادنا حضرة المعرّب في مقدّمتهِ شيئاً عن مؤلف الكتاب وعن المصادر التي رجع اليها لوضع تأليفهِ فذلك من شأنهِ ان يزيدنا ثقةً بروايتهِ

فسدًّا لهذا الخلل رأينا ان ننشر عنا بعض تلك المآثر الناطقة بشهامة رجل الله وقداسة حياتهِ ننقلها عن شهود عيانيين او معاصرين استفدناها خصوصاً من احد آباء رهبانيَّتنا في الاستانة حضرة الاب يوسف لوبون (P. J. Lebon) بعد ذكر خلاصة حياتهِ

ولد غوميداس (ويروي البعض غورميداس) في الاستانة سنة ١٦٥٦ من اسرة فاضلة من الارمن الغريغوريين . وكان ابوهُ كاهناً يُدعى مرديروس . نشأ الولد في حجر والديهِ على التقى ثمَّ تلقَّى العلوم على بعض اساتذة طائفتهِ فبرع فيها لاسيَّما العلوم الدينيَّة . قيل انهُ استظهر كلّ اسفار العهد الجديد فاهَّلتهُ علومهُ الى اقتبال الكهنوت بعد اقترانهِ بالزواج الشرعي جرياً على عادة الكنائس الشرقيَّة فرسمهُ كاهناً مطران طوقات المدعو كيراكوس وتعيَّن كرئيس لكنيسة مار جاورجيوس في صاماطيا احد احياء الاستانة

وفي تلك الاثناء حدثت بين الارمن في حاضرة الدولة فتن وانشقاقات فكان قسمٌ منهم عرف حقيقة الايمان الكاثوليكي فجاهر بتعاليم الكنيسة الرومانيَّة وكان في مقدّمتهم البطريرك ملشيصداق سبوح او صبحي فقام لمعاكستهم حزبٌ آخر لم يألُ جهداً في معارضتهم حتَّى التجأوا الى الحكومة العثمانيَّة لادراك غايتهم

وكان من جملة الذين اهتدوا الى الايمان المستقيم الكاهن غوميداس اذ تحقَّق صدقهُ وموافقتهُ لتعليم القديس غريغوريوس المنوّر فاخذ يبشّر بهِ علانيةً ويرشد اليهِ رعيَّتهُ في صاماطيا . واذ كان ذا عارضةٍ وبلاغة عظيمة كانت جماهير الشعب تتقاطر

الى لسماعه ولاسيما انهُ كان رخيم الصوت في غناء الاناشيد الطقسيَّة متقناً لمراتب الكنائسيَّة مهتماً بزينة بيت الله فاستمال اليهِ قلوب الجميع وهدى الى حجر الكنيسة البطرسيَّة عدداً عديداً من الضالين

فحركت غيرتهُ البغض في صدور الحزب المعادي وكانوا قد اقاموا لهم بطريركاً شديد المعارضة للكاثوليك يُدعى افرام فتمكَّنوا من نفي البطريرك الشرعي ملشيصادق واضطهدوا المؤمنين انصارهُ واضروا الشرّ خصوصاً لغوميداس فلم يرَ النجاة من ايديهم الَّا بالفرار الى اورشليم سنة ١٧٠١ لكنَّهُ قاسى هناك من العذاب واضطهاد المخالفين الذين عوَّلوا على تسليمه ما اضطرَّهُ الى الرجوع الى الاستانة وكان بلغهُ ان بطريركاً جديداً اسمهُ اواديك مسالماً للكاثوليك أُقيم بعد خلع افرام

فلمَّا عاد الى عاصمة المملكة تحقَّق ان مواعيد البطريرك اواديك كانت عرقوبيَّة وانهُ اثار على الكاثوليك اضطهاداً اشدَّ من سلفهِ فاختفى غوميداس من وجههِ ريثما تهدأ تلك العاصفة . وكان سفير فرنسة المركيز دي فرّيول تمكَّن من ابعادهِ عن الاستانة فثار ثائر اعداء الايمان وتألَّبوا على الكاثوليك سنة ١٧٠٦ كضواري السباع وسعوا بمصادرتهم ونفيهم واستصفاء اموالهم . وقبضوا على غوميداس فساقوهُ الى المحكمة والقوهُ في السجن وحكموا عليهِ بالاعمال الشاقَّة وبذلوا الدراهم لينالوا من وزير الصدارة علي باشا الجورلي حكماً عليهِ بالموت لكنَّ الوزير اذ رأى انَّ المسألة دينيَّةٌ لم يكترث لها بل اطلق سراحهُ بعد ان دفع للوزير ما طمع بهِ من المال

فرجع غوميداس الى دارهِ مطمئنًّا واستأنف اعمالهُ الرسوليَّة من وعظ وارشاد وحفلات دينيَّة كان يزدحم الشعب لحضورها ويُقبل عليها إقبال الجياع على القصاع فتوغَّرت لذلك صدور المخالفين فوكلوا امرهم الى بطريرك جديد يدعى اوهتيس شاع بغضهُ نحو الكاثوليك . فما كاد يستقرُّ قدمهُ في الاستانة حتَّى حذا حذو اواديك ونصب المكائد ودسَّ الدسائس وبذل اكياس الرشوة حتَّى أُطلقت يدهُ على المرتدين الى الكثلكة فاذاقهم العذاب الوانًا

وكان غوميداس اوَّل من صوَّب اليهِ سهام بغضهِ ولم يكتف بتوقيفهِ وحبسهِ بل اراد ان يشفي غليلهُ بموتهِ . فتمَّ لهُ ذلك كما شاء فاستشهد غوميداس في ٢٥ تشرين الاوَّل من تلك السنة بعد ان اظهر من الثبات العجيب والشهامة الدينيَّة ما

اذهل الالوف المؤلفة من المسلمين والنصارى الذين حضروا قتلهُ

وقد لحظ كتبة تاريخهِ انهُ اشبه في موتهِ فادية الالهي في عدة امور في نوع توقيفهِ وتكبيلهِ بالاغلال وسَوقه في الشوارع بالهوان وفي لطمهِ وسجنهِ وفي محاكمتهِ لدى وزيرٍ كان اشبه شيْ ببيلاطوس بتردّدهِ في الحكم وضعفهِ وإصغائهِ الى شهود الزور وفي طلب الفريسيين ان يكون دمهُ عليهم وعلى ابنائهم وفي إقرار اعدائهِ بعد موتهِ ببرارتهِ وفي التماس ابنتهِ من الوزير دفن جثتهِ فدُفن مكرَّماً

*

هذا ما يُستفاد من رواية المؤرخين الثقات . وها نحن نذكر شيئاً من كتاباتهم التي حرَّروها في يوم استشهاد الكاهن غوميداس او قليلاً بعدهُ . فمن ذلك ما كتبهُ سفير فرنسة دي فريول في تشرين الثاني اي يوم الاستشهاد وفقاً للحساب الغربي ثمَّ في ٨ منهُ وهما كتابان وجَّههما الى وزير الملك لويس الرابع عشر (١ قال :

«قد قُتل الكاهن دير غوميداس وها انا مُرسل لجنابك تفاصيل استشهادهِ . كان المذكور معتبراً لدى طائفتهِ نظراً لنزاهتهِ واستقامتهِ وكان متقدّاً غيرةً لنشر الدين الكاثوليكي . قد عانى مراراً الاضطهادات في سبيل دينهِ وحُكم عليهِ بالاومان قبل ستَّة اشهر لكنَّ بعض الوجوه من طائفتهِ انقذوهُ من تلك المصيبة بدفعهم مبلغاً كبيراً من المال . . . وفي ٣ من شهر تشرين الثاني ارسل الصدر الاعظم جنوداً ليوقفوا بعض الارمن ويزُجوهم في الحبس بداعي كونهم قد «تنرمجوا» وخصوصاً دير غوميداس . فلما بلغوا الى حيّهِ ولجوا في عدَّة بيوت فالقوا الرعب في اهلها . فلمَّا سمع الدير غوميداس هذه الجلبة ليس فقط لم يفرَّ هارباً او يختفِ كما فعل غيرهُ بل وقف على باب دارهِ وسأل عمَّال الوزيرة من تطلبون ؟ . قالوا : دير غوميداس — قال : انا هو . فدعُوا اذن هؤلاء القوم مطمئنين

«فقادوهُ الى الحبس وفي ضحى هذا اليوم اوقفوهُ في ديوان الصدر الاعظم حيث كان حضر بطريرك الارمن دير اوهنيس مع ٣٠٠ من اصحابهِ . فلمَّا رأى الوزير دير غوميداس انتهرهُ متجهماً : لماذا عدلتَ الى دين الفرنج ؟ اجاب غوميداس : بما اني كاهن

(١ اطلب كتاب المآثر التاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة للمرحوم الاب اغطون ربَّاط
A. Rabbath : Documents inédits, I, 126-130

قد رأيتُ من الواجب عليَّ ان اتصدّق في درس ديانتي لألقنها الغير وقد وجدتُ في تعاليم الارمن الذين يناهضوني عدّة اضاليل يمنعني الضمير من اعتقادها

«قال الوزير: وما هذه الاضاليل ؟ — اجاب غوميداس: أو انت تعرف ديانتنا معرفةً كافية لتحكم عن الصواب او الضلال ؟ — قال الوزير: صَهْ ألا تعلم اني قادر على قتلك ؟ — قال غوميداس: وبذلك تمنحني نعمةً جزيلة. ولكن يجب عليك ان لا ترفع السيف على رأسي في امر يمسُّ الدين وانا على غير مذهبك. وان سفكت دمي فاني اناقشك الحساب عنهُ يوم الدين

«فانذهل الوزير لاستماعه هذا الكلام وقام مغتاظاً فالتفت الى البطريرك دير اوهنِس قائلًا: أنك انت المسئول عن دم هذا الرجل. اجاب اوهنِس: فليحلّ على الذين طلبوا توقيفهُ(١ . فجلس الوزير وقال لغوميداس: انَّ هؤلاء يدَّعون انك هجرت شيعتهم لتتبع شيعةً سواها. قال غوميداس: وأيتهما على رأي الوزير هي الفضلى ؟ قال الوزير: على رأيي انَّ كلتيهما فاسدة — اردف غوميداس: فماذا يعنيك اذن ان اختار الواحدة دون الاخرى ؟

«فهيّج جوابهُ هذا صدر الوزير فأمر الحال بقتله. ومن ساعته اقتادهُ الجند الى منتصف الدم ومعهُ اثنان آخران من الارمن الكاثوليك . وكان غوميداس في طريقه مستحرًا بالصلاة فلقيهُ بعض كهنة الروم المتوجهين الى دار الصدر الاعظم ليفاوضوهُ في امر بطريركهم الجديد . ولمَّا عرفوا ان غوميداس حُكم عليه بالموت اقتربوا منهُ وطلبوا دعاءهُ

«ولمَّا وصل الى ساحة الإعدام التفت الى رفيقيه الارمنيَّين وحرَّضهما على الثبات في دينهما والاستشهاد في سبيله قائلًا لهما انهُ يتقدَّمهما ليجدا في موته مثلًا . ثمَّ خرَّ جاثياً على ركبتيه وبينما هو يتلو دستور الايمان قطع السيَّاف رأسهُ . . . اما الارمنيان رفيقاهُ فحملهما الخوف على جحود دينهما فأسلما

«وما لا ينكر ان علي باشا رجلٌ سفَّاك الدماء. ومحبٌ للدراهم ويرى ان سيدهُ السلطان (وهو احمد الثالث) يميل الى الارمن المراطقة . ولو كان للاتراك في هذه الأيام حربٌ تشغلهم لمَا ارتبكوا في هذه الامور الدينيَّة وما عمدوا الى التلهي بحق

١) وفي رواية اخرى: فليحلّ دمهُ على اليسوعيين الذين غرَّروهُ هو وكثيرين من اهل ملَّتنا

النصارى . وقد رأى الصدر الاعظم انَّ هذه الشاجرات الدينيَّة من شأنها ان تكسبهُ الاموال الطائلة التي هو متعطّش اليها »

هـذا ما يكتبهُ فريول السفير . وقد عُني الآباء اليسوعيُّون الذين كانوا وقتئذٍ في الاستانة بجمع اخبار غوميداس في حياتهِ وموتهِ وما جرى لهُ بعد استشهادهِ فدوَّنوا كلّ ذلك واودعوا نسخةً ممَّا كتبوا في سجلّاتهم وارسلوا الى رومية نسخةً ثانية ليثبت البكرسيّ الرسوليّ قداستهُ وينظم اسمهُ في عداد اولياء الله . وهذه الاعمال كانت فُقدت لما حدث لرومية من الكوارث في اواخر القرن الثامن عشر الَّا انَّها لحسن الطالع قد اكتُشفت سنة ١٨٩٥ بين سجلّات مجمع انتشار الايمان فاستأنف المجمع المقدَّس فحص تلك الدعوى والامل معقود على قرب اعلان الشهيد غوميداس طوبويًّا

فممَّا يستفاد من تلك الاعمال والشواهد العديدة المضافة اليها ان الله مجَّد شهيدهُ بعدَّة كرامات حدثت بعد موتهِ . فمن ذلك انَّ جسدهُ الطاهر بقي ثلثة ايَّام في ساحة بارماق قابو حيث قُتل دون ان يصيبهُ فساد وكانت تنبعث منهُ رائحة طيّبة . وفي ثاني يوم استشهادهِ اشرق حولهُ نورٌ عجيب اثَّر نظرهُ في الحرَّاس حتَّى قيل انَّ بعضهم تنصَّروا لرؤياه

وممَّا يُعزى الى الشهيد غوميداس انَّ مدينة الاستانة التي كان انحبس عنها المطر منذ عدَّة اشهر جادها السماء بامطار غزيرة مدَّة ثلاثة ايَّامٍ متوالية حين استشهادهِ

وزادت تلك الكرامات بما تبادر الكاثوليك الى جمعهِ من ذخائر الشهيد كقطع من ثيابهِ ومناديل مغموسة بدمهِ . فلمَّا رأى الاعداء ما حصل للكاهن القديس من الاكرام ندم كثيرون منهم على ما فعلوهُ واطرأوا شهامتهُ في دفاعهِ عن ايمانهِ . ولمَّا البطريرك اوهنِس وكهنتهُ فتنمَّروا غيظاً وطلبوا من اولي الامر ان تُلقى جثَّتهُ في البحر . لكنَّ ابنة الشهيد المدعوَّة اغاوني دخلت بكل جرأة على الصدر الاعظم وطلبت جثَّة والدها فسُمح لها بذلك فدُفنت بكل اكرام بحضور جمهور عظيم من الشعب من كل الطوائف الكاثوليكيَّة حتَّى من طائفتي الروم والارمن غير الكاثوليك . وقد أودعت اللحد في مقبرة الارمن الواقعة عند باب ادرنة حيث جرت عدَّة عجائب اعلن بها الذين اتوا لزيارة قبرهِ ولالتماس شفاعتهِ

ولعلَّ الجثَّة لم تبقَ هناك زمناً طويلًا اذ يُخبر السفير المركيز دي فريول انَّهُ

تمكّن من استخراجها من مكانها ليلاً وارسلها الى فرنسة لتنال ما تستحقّهُ من الاكرام

وما لا يُنكر انّهُ منذ استشهاد الكاهن غوميداس الى هذه السنين الاخيرة لم يزل ذكرهُ حيًّا ومقام قبرهِ مكرّماً والمعجزات المجترحة بشفاعتهِ متواصلة وقد جُمعت في كتاب خاصّ حيث ينيف عددها على الثلثمائة . بينها ارتداد كثيرين من الارمن غير الكاثوليك الى حجر الكنيسة المقدّسة مع وصف ما أُصيب به اعدائهُ من العقاب فانّ اغلبهم حلّت بهم مصائب فاجعة وماتوا ميتةً سيئة رأى فيها مواطنوهم يد الله المنتقم منهم لعبدهِ غوميداس

وممّا ورد في الترجمة العربيّة التي أُلمعنا اليها انّ القس غوميداس خلّف سبعة بنين ذكرَين وخمس أُنثى توفّي احد الصبيين في رومية سنة ١٧٠٨ وكان اسمهُ نهابيد وتقلّد الثاني وظيفة ترجمان في نابولي واسمهُ يوحنّا . وكانت اصغر بناتهِ اغاوني وهي التي طلبت جثّة والدها من الوزير . وكانت قرينتهُ تُدعى هُرْية عريقة في الدين ولمّا قُبض على زوجها حرّضتهُ على بذل نفسه في سبيل ايمانهِ القويم

وقد وقفنا على رسالة كتبها الاب اليسوعي تاريليون كتبها من الاستانة في ١٤ أيار سنة ١٧١٠ روى فيها ما لحق بالصدر الاعظم علي باشا الجورلي من المصائب اذ عزلهُ السلطان احمد الثالث من منصبهِ ومات اسوأ ميتةٍ جزاء جورهِ في حقّ الشهيد غوميداس . وروى على خلاف ذلك نموّ الشرف والذكر الحسن اللذين حظي بهما ذلك الكاهن المفضال بحيث يجوز القول انّ موتهُ انعش الايمان في قلوب كلّ المسيحيين ولاسيّما الارمن واضحى في كلّ تركية باعثاً لارتداد كثيرين من غير الكاثوليك حتّى انّ عددهم في العاصمة وحدها بلغ ١٢،٠٠٠ وبذلك صحّ قول الآباء القديسين انّ دم الشهداء زرعٌ جديد للمؤمنين